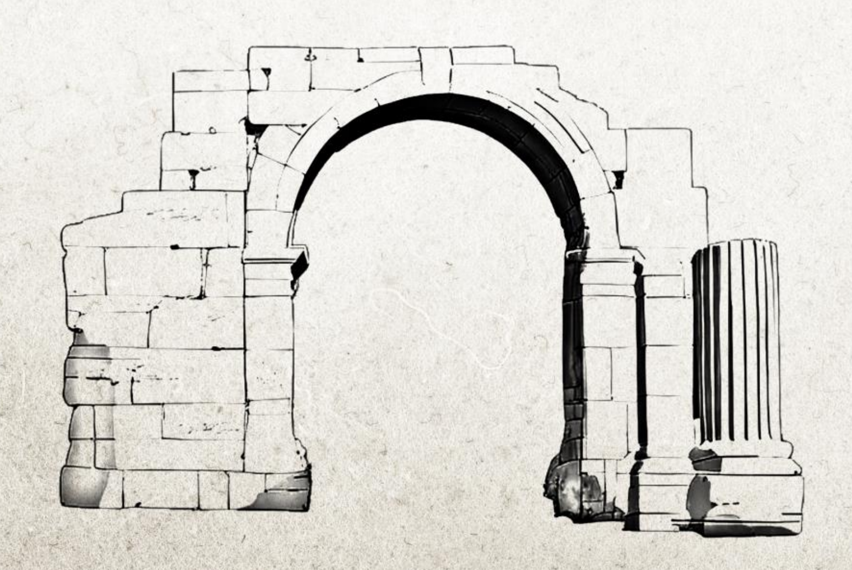
دمشق

تاريخ معطر بالياسمين

استكشاف تراث دمشق القديم و الدائم،
و حضارتها المتواصلة عبر آلاف السنين

ماهر أسعد بكر



دمشق

تاريخ معطر بالياسمين

ماهر أسعد بكر

ISBN Softcover: 9798223602439

ISBN E-Book: 9798224018574

الفهرس

مقدمة

مرحباً بكـم في مدينـة دمشـق القديمـة، مدينـةٌ اقتطعـت مـن الجنة نفسها و وجدت على هذا الكوكب، غارقةٌ في التاريخ و عمرها من عمره، يكتنفها سحر الغموض، لكنها واضحةٌ في حبك لها، قديمةٌ، لكنها معبقةٌ بعطر الياسمين الدمشقي.

لـن يكـون سـردنا في الصـفحات القادمـة لمجـرد التوثيـق الأكاديمي لجزءٍ من تاريخ المدينة، على أن ذلك قد يحتاج إلى ملايين الصفحات، و لن يكفيه، إنما هي رحلةٌ سريعةٌ مختصرةٌ عبر سجلات الزمن، سنكشف من خلالها عن بعض الأسـرار و القصـص التـي شـكلت هـذه المدينـة الخالـدة و نستكشـف الأهميـة الدائمـة لتراثهـا الثقـافي و التـاريخي و الروحي.

سنمر بعجالةٍ على تاريخ مدينةٍ تحتل مكانةً خاصةً في قلوب و عقـول النـاس أينمـا ورد ذكرهـا في جميـع أنحـاء العـالم، باعتبارها واحدةً من أقدم المدن المأهولة بالسكان على وجه الأرض، حيث تعود أصولها إلى آلاف السنين، إلى الوقت الذي بـدأت فيـه المسـتوطنات البشـرية الأولى تتجـذر في السـهول الخصبة في شرق البحر الأبيض المتوسط، و لتصبح منه فيما بعد عاصمة الإمبراطوريات و بوتقة الحضارات.

و لأنها أقدم عاصمةٍ في العالم، تحتل دمشق مكانة فريدة في تـاريخ البشـرية، فقـد كانـت لآلاف السـنين مفتـرق طـرق للثقافات، حيث يلتقي الشرق بالغرب و الشمال بالجنوب.

دمشق أكثر من مجرد مدينة ذات أهمية تاريخية، إنها مكان يتمتع بجمالٍ و سحرٍ و جاذبيةٍ، يبثها في أثير الزمان متاهات أزقتها، و روائح أسواقها المزدحمة، و معالمها التي تشمخ في

خط سير الزمان، تفيض بإحساس الخلود الذي يأسر الخيال و يثير الروح، إنها جزءٌ من الكون حيث يلتقي فيه الماضي و الحاضر، و تتردد أصداء التاريخ في كل زاويةٍ، راسمةً معالم المستقبل.

فيما سيأتي من هذا الكتاب، سوف تتعمق معنا في تاريخ وجود دمشق، لنستكشف معاً تاريخها الغني بالثقافة و الروحانية، منذ بداياتها الأولى كمستوطنة من العصر الحجري الحديث و حتى ذروتها كمركزٍ عالمي للتجارة و التعلم في العصور القديمة و البيزنطية، سنكشف اللثام معاً عن الأسرار والقصص التي شكلت هوية هذه المدينة الفريدة و تركت علامةً لا تمحى على جبين العالم.

انضـم إلينـا الآن و نحـن نسـافر عائـدين بـالزمن إلى الـوراء و نستكشف تاريخ مدينة دمشـق القديم، حيث ينبض التـاريخ بالحياة، و تتردد أصداء الماضي عبر العصور.

أنا الدمشقيُّ لو شرّحتمُ جسدي

لسالَ منهُ عناقيدٌ وتفّاحُ

***

لو فتحتُم شراييني بمديتكم

سمعتمُ في دمي أصواتَ من راحوا

نزار قباني

في البدء

بدأت قصة المدينة، مع نهاية العصر الجليدي و ذوبان الثلوج في التلال و السهول المحيطة بنهر بردى، في بدايات العام 9000 قبل الميلاد، حيث جابت قبائل الصيد و التجمعات البدوية هذه الأراضي، في رحلات صيد الطرائد و مواسم البحث عن الطعام، و في حوالي 7000 قبل الميلاد، حفز المناخ المتغير المحاولات الأولى لزراعة الحبوب البرية و تدجين الحيوانات على امتداد نهر بردى, حيث كانت الأرض العذراء تنذر ببدايةٍ واعدةٍ لقيام المجتمعات الزراعية، و في هذه المناطق الخصبة، نشأت المستوطنات البشرية على امتداد الوادي، و اكتسبت ديمومةً تدريجيةً حيث بدأ السكان يعيشون على خيرات حقولهم على مدار العام دون الحاجة لرحلات الصيد البعيدة.

تطورت هذه المنطاق، فيما سيعرف لاحقاً باسم "الغوطة"، إلى منطقةٍ زراعيةٍ خصبةٍ تشكل قوامها قرىً صغيرةٌ متفرقة، و فيما تشير إلى هذه الفترة الإنتقالية، المكتشفات الأثرية في "تل أسود" و الذي يقع على بعد 30 كم جنوب - شرقي دمشق، إلى الشرق من قرية "جديدة الخاص" بين "بحيرة العتيبة" و "منخفض الهيجانة"، إلى بعض المجتمعات المستقرة المبكرة، عبر بقايا مساكن الطوب الطيني، و حفر التخزين، و الأدوات اليدوية الصنع، فقد اكتشف علماء الآثار في "تل رماد" الذي يبعد حوالي 25 كم جنوبي غرب دمشق، في وادي "قطنا" الشرقي، أدلةً مذهلةً على ثورةٍ زراعيةٍ حوالي العام 4000 قبل الميلاد، حيث تمثل المنازل الفاخرة المبنية من البازلت المنحوت بدقة مجتمعاً متطوراً يضم عمالاً متخصصين و طبقة نخبةٍ ناشئة، و تشيرت الأدوات النحاسية و البناء الحجري و الهندسة المعمارية الضخمة إلى صعود حضارةٍ ثريةٍ على طول نهر بردى بحلول العام 3000 قبل الميلاد، مع أدلةٍ على التبادلات الثقافية و التي تتضح

من خلال القطع الأثرية التي يعود بعضها إلى الأناضول و بلاد ما بين النهرين.



جماجم مغطاة بالجص من موقع تل أسود

على مدى الألفي سنة التاليتين، أثرت التغيرات المناخية و القوى الإقليمية ديناميكياً على المنطقة، حيث شهد العصر

البرونـزي المبكـر صـعود و سـقوط دويـلات المـدن الصـغيرة التـي تعتمـد علـى التجـارة الدوليـة في السـلع الفـاخرة، في حـين أدى عـدم الاسـتقرار إلى تعطيـل المراكـز الحضـرية في العصـر البرونزي الأوسـط، و مع ذلك، أفسحت المجموعات القبليـة المتنـاثرة المجـال أمـام قيـام مجتمعـاتٍ أكبـر قائمـةٍ علـى القرابـة طـوال العصـر البرونـزي الوسـيط، حيـث أصـبحت الأنشـطة الزراعيـة و الرعويـة أكثـر تخصصـاً علـى طـول الأنهـار، مثـل نهـر بـردى، و بحلـول العـام 1000 قبـل المـيلاد تقريبـاً، انـدمجت العديـد مـن هـذه المجتمعـات لتشـكل النـواة التـي تطورت إلى مدينة دمشق الإمبراطورية.

كشـفت الحفريـات الأثريـة الأخيـرة الكثيـر عـن السـكن البشـري المبكـر في المنـاطق المحيطـة بمـا أصـبح يعـرف فيمـا بعـد دمشـق، ففـي "تـل أسـود" منـذ حـوالي العـام 6000 قبـل المـيلاد، تشـير الفخاريـات المكتشـفة و أوعيـة التخـزين و الأدوات الحجريـة البدائيـة إلى أن الموقـع كـان بمثابـة قريـةٍ

زراعيـةٍ صـغيرةٍ خـلال العصـر الحجـري الحـديث. و مـع تطـور الزراعة و تدجين الحيوانات بشكلٍ كاملٍ بحلول العام 5000 قبــل المــيلاد في الغوطــة، تطــورت القريــة لتصــبح مدينــةً متواضعةً.



الهندسة المعمارية في بناء الأرض في تل أسود

أما "تل رماد" الذي يحتل موقعاً استراتيجياً يطل على وادي بردى، و الذي يعود تاريخه إلى حوالي العام 3500 قبل الميلاد في العصر البرونزي المبكر، فقد ظهر هذا المكان كمستوطنةٍ بشريةٍ و مركزٍ تجاريٍ إقليمي، و اكتشف المنقبون فيها أحياء مترامية الأطراف و منظمةٍ حول أزقةٍ واسعة، إلى جانب أعمال قنوات الري المعقدة و التي تشير إلى إدارةٍ متطورةٍ للمياه، فيما أوضحت التماثيل و الأختام الحجرية المزخرفة، التي تم انتشالها من المنازل و ورش العمل المتقنة، التسلسل الهرمي الاجتماعي المزدهر و الحرفية المتخصصة، حيث جلبت التجارة الدولية السلع الفاخرة مثل اللازورد و الرخام، و تركت التأثيرات الثقافية بصماتها في التقاليد الحرفية التي مرت عبر بلاد ما بين النهرين قبل وصولها.

كما يثبت اكتشاف جدارٍ دفاعيٍ ضخم معزز بأبراج زاوية، يرجع إلى العصر البرونزي الأوسط حوالي العام 2300 قبل

الميلاد، دور "تل رماد" كمركزٍ إداريٍ حضري، مع تنافس القوى المجاورة على المنطقة، حيث اعتمد مواطنوها على الفائض الزراعي و صناعة المعادن للحفاظ على وجودهم داخل المحيط المحصن، و كما تشهد القطع الأثرية المتنوعة من الأناضول و مصر على شبكات التبادل المكثفة التي استمرت عبر القرون.

و مع تزايد اعتماد المجتمعات على الزراعة، ظهرت فيما يعرف اليوم بغوطة دمشق، ثورةٌ زراعيةٌ خلال أواخر العصر الحجري الحديث و العصر البرونزي، فمخازن الحبوب المكتشفة في "تل رماد" تقدم دليلاً على زيادة التنظيم الاجتماعي الذي يتمحور حول زراعة الحبوب مثل القمح و الشعير، و من خلال الأساليب التجريبية، طور المزارعون الأوائل تقنياتٍ للري باستخدام شبكةٍ واسعةٍ من القنوات المائية و قنوات المياه التي تحول تدفق الماء من نهر بردى، عصب حياة المدينة و ما حولها.

كما أدى تدجين الحيوانات إلى إحداث تغييرٍ كبيرٍ في أنماط الحياة منذ حوالي العام 4000 قبل الميلاد فصاعداً، و تشير بقايا الماعز و الأغنام و الماشية التي عثر عليها في مواقع القرى إلى توفر اللحوم و الحليب و الصوف، و ساعدت الماشية في الحرث و نقل الحبوب المحصودة، و مع تضافر الرعي مع الزراعة، ظهر اقتصادٌ مختلطٌ قويٌ قادرٌ على دعم استقرار أعدادٍ متزايدةٍ من السكان.

و بحلول الألفية الثالثة قبل الميلاد، طور المزارعون السوريون أصنافاً نباتيةً جديدةً تتكيف مع الظروف المحلية من خلال التربية الانتقائية، و حافظت صوامع التخزين الكبيرة تحت الأرض على بذور سلالاتٍ قويةٍ و عالية الإنتاجية من القمح و الشعير بين مواسم الزراعة، و دعمت الفوائض شبكات التبادل الإقليمية مع المناطق الهامشية التي تفتقر

إلى الأراضي الصالحة للزراعة، و شكلت المحاصيل الأساسية إلى جانب البقوليات و التين و العنب، الدعائم الغذائية الأساسية للمجتمعات المستقرة على طول وادي نهر بردى خلال العصر البرونزي، و مع ترسخ القرى الدائمة عبر أراضي نهر بردى، تسارعت التطورات الاجتماعية و الثقافية خلال فترتي العصر الحجري الحديث و العصر البرونزي، و عززت أعداد السكان المستقرة الأكبر زيادة التخصص في العمل و تطور التسلسل الهرمي.

تشير المواقع الدينية من هذا العصر إلى الأشكال المبكرة للعبادة المنظمة، ففي "تل رماد"، يوجد معبدٌ كبيرٌ بُني حوالي العام 3000 قبل الميلاد و يضم منحوتاتٍ جداريةٍ و تماثيل صغيرةٍ تصور الطقوس و التضحيات الجماعية, و ربما كانت النخب الكهنوتية تدير عروض الحبوب و تشرف على التوزيع العادل للمياه، كما أصبحت عادات الدفن أكثر

تفصـيلاً، كمـا يتضـح مـن المقـابر التـي تحتـوي علـى مـواد جنائزيةٍ مزخرفةٍ و مقابر جماعية.

بحلـول أوائـل الألفيـة الثانيـة قبـل المـيلاد، كانـت إنجـازات العصر البرونزي واضحة في التطـور الثقـافي، و كـان القرويـون يزينـون أنفسـهم بمستحضـرات التجميـل المصنوعة محلياً و يبنـون منـازل مـن الطـوب الطينـي بأسـقف مـن القصـب، و أكدت الآلات الموسيقية مثل المزامير المصنوعة من العظام على تطور القصص الشفهية و الفولكلور، كما ظهرت أنظمة الكتابـة التصـويرية المشـابهة لنصـوص بـلاد مـا بـين النهـرين المبكرة على الألواح الطينية حوالي العام 2000 قبل الميلاد، ممـا يمثـل خطـوةً مهمـةً نحـو أشـكالٍ أكثـر تقـدماً مـن الاتصالات.

و مع مرور القرون، انتشرت المجتمعات الزراعية الصغيرة على طول نهر بردى، و التي تطورت تدريجياً إلى مستوطناتٍ أكبر و أكثر تنظيماً، فتطورت قرية "تل أسود" لتصبح مدينةً كبيرة، في حين برزت "تل رماد" كمركزٍ إقليمي بارز يمتد تأثيره عبر المنطقة المحيطة، و حوالي العام 1500 قبل الميلاد، شهدت فترة عدم الاستقرار تراجع العديد من دول المدن القديمة مع تنافس القوى الجديدة للسيطرة على طرق التجارة المربحة، و خلال هذا الوقت المضطرب، تجتمعت المجتمعات التي تسكن سهول "الغوطة" الخصبة معاً من أجل توحيد القوة و توفير الأمان من خلال التجمع بأعدادٍ كبيرة.

و بحلول العام 1000 قبل الميلاد، كان قلب ما سيُعرف يوماً ما بدمشق قد تبلور، حيث قامت العديد من المدن المجاورة بتوحيد دفاعاتها خلف جدارٍ حجريٍ كبيرٍ واحد يحيط بالمدينة الموحدة، في قلب هذه المستوطنة المحصنة تقع المعابد

القديمـــة و المراكـــز الإداريـــة، و التـــي أصـــبحت الآن بمثابـــة ترسيخ للوظائف الدينية و الحكومية للدولة المدينـة الناشئة، على الرغم من أنهم يسكنون منازل من الطوب الطيني بدلاً من القصور الكبرى، إلا أن سكان دمشـق الوليدة قد وضعوا أسـس حضـارةٍ عظيمـةٍ عبـر أكثـر مـن أربعـة آلاف سـنة مـن التقـدم الزراعـي و الثقـافي و التكنولـوجي، و علـى الـرغم مـن الاضطرابات السياسية، فإن أحفادهم سيعتمدون على هذا الإرث لتأسـيس دمشـق كواحـدةٍ مـن أكثـر المـدن ازدهـاراً في العالم القديم.

ولادة مدينة

مع بداية الألفية الأخيرة قبل الميلاد، صعدت دمشق إلى مكانةٍ بارزةٍ كمدينة-دولة رئيسية، و ظلت المستوطنة تحت حكم السلالات المحلية، و استمرت في التوسع خلف أسوارها المحصنة لتشمل الأحياء التابعة التي تزدهر بالفائض الزراعي، بحلول القرن الثامن قبل الميلاد، نمت دمشق لتصبح أكبر و أغنى مركزٍ تجاريٍ في المنطقة، عند تقاطع طرق التجارة التي تربط بين مصر و الجزيرة العربية و بلاد ما بين النهرين و الأناضول، و قد أغرق التجار أسواقها الصاخبة بالسلع الفاخرة من جميع أنحاء الشرق الأدنى و خارجه.

و تدفق الذهب و الفضة و التوابل و الفواكه و الأخشاب إلى دمشق مقابل نبيذها الشهير و منسوجاتها و مصنوعاتها اليدوية المعدنية، و أصبح التجار من القبائل العمورية و

الآرامية و الكنعانية ثريين للغاية و هم ينقلون بضائعم هذه عن طريق القوافل بين مفترق الطرق الثقافية مثل غزة و حلب و تدمر، و استقر العديد منهم بشكلٍ دائمٍ داخل المدينة، و استغل البناؤون المهرة أحدث الابتكارات، و أقاموا المعابد الضخمة و القصور و الجدران الدفاعية التي أذهلت الزوار، و في عهد أسرة النمرود، أصبحت دمشق القلب النابض للحياة التجارية و السياسية.

كما سمح الازدهار الكبير بالتبرعات السخية لتجميل المعابد المخصصة لآلهة مثل حدد و أتارجاتيس و بعل، و كانت ساحاتها و أعمدتها و زقوراتها المزخرفة ترتفع فوق المدينة السفلى، و تجمع الحجاج لأداء الصلاة و تقديم القرابين، و قد أضافت هذه المكانة الدينية الجاذبية لدمشق، مما عزز ولاء القبائل الخاضعة و الحلفاء الأجانب الذين حافظوا على أمنها خلال القرون المضطربة، و صعدت هذه الدولة-المدينة

الفتية بسرعةٍ لتصبح الجوهرة الاقتصادية و الروحية للشرق الأدنى.

و نظراً لموقع دمشق على مفترق الطرق الاستراتيجي لطرق التجارة الحيوية، فقد منحها موقعها دائماً مزايا تجارية هائلة، و باعتبارها بوتقة انصهارٍ ثقافيٍ تربط بين أفريقيا و آسيا و عالم البحر الأبيض المتوسط، فقد التقت مساراتٌ عديدةٌ في أسواقها المزدحمة، و من ميناء طرابلس امتد الطريق الساحلي السريع، حيث كان ينقل البضائع من تجار البحار الفينيقيين عبر الساحل الشرقي، و اجتاز طريق الملوك السريع سهول حوران و وادي الأردن في طريقه إلى مصر و مملكتي أدوم و مدين.

و كانت الطرق الأكثر أهمية هي الطرق بين الشمال و الجنوب التي تربط دمشق بشمال بلاد ما بين النهرين و

الأناضـول، و وصـل مسـار وادي نهـر البلـيخ و الـذي ينبـع مـن فيما يعرف اليوم بقرية "عين العروس" الواقعة على مسافة 3 كم جنوب مدينة "تل أبيض"، في "محافظة الرقة" بالقرب مـن الحـدود السـورية التركيـة، حـاملاً البضـائع إلى شـمال سـوريا، و الطـرق الأخـرى عبـر تـدمر و حمـص وصـولاً إلى نهـر العاصـي، إن السـيطرة علـى هـذه الطـرق أعطـت الأسـرة الحاكمـة في دمشـق نفـوذاً علـى القبائـل التابعـة مثـل بـدو النقب الذين كانوا يحرسون الطرق المجاورة، و كانت القوافل التـي تحمـل القصـدير و الـلازورد و الأخشـاب و الأقمشـة المنسوجة تدفع بتدفق الثروات إلى المدينة سنوياً.

و تفرعـت الطرق الفرعيـة الأصغر لتوزيـع البضـائع علـى قـرى الـتلال و المسـتوطانات البشـرية في جميـع أنحـاء منطقـة الغوطـة الإداريـة لحمايـة المركـز الحضـري، كمـا حافظـت عمليـات جمـع الضـرائب مـن المـزارعين و الحـرفيين علـى تـدفقٍ ثابـتٍ مـن المـواد الغذائيـة إلى مخـازن الحبـوب، و مـن

خلال إدارة هذه العلاقات بعناية و فرض ضرائب على التجارة على طول طرقاتها، مارست دمشق نفوذاً مادياً في معظم أنحاء سوريا و شرق الأردن خلال قرون تكوينها، و أثبت موقعها الاستراتيجي منبع الازدهار و الهيمنة الدائمين.

بعد صعودها إلى الصدارة وسط صراعات السلطة المعقدة في الشرق الأدنى القديم، وجدت دمشق نفسها في كثيرٍ من الأحيان في تفاعلٍ مع الإمبراطوريات المجاورة مثل مصر و الحثيين و آشور الذين نافسوها للسيطرة على طرق التجارة و الموارد القيمة، و خلال الألفية الثانية قبل الميلاد، أدت غزوات الهكسوس الكبرى إلى تعطيل دويلات المدن الكنعانية، لكنها تركت دمشق سالمةً نسبياً بسبب موقعها النائي في الغوطة، و في الوقت نفسه، أدت الصراعات المستمرة بين الفراعنة المصريين و الحثيين إلى تقلب التحالفات و السيطرة و شهدت المعاهدات تعهد دمشق

بالتناوب بتقديم الجزية و دعم القوات للقوة المهيمنة مقابل الاعتراف بالحكم المحلي.

و بحلول الألفية الأولى قبل الميلاد، أدى التوسع الآشوري إلى وضع سوريا تحت سيطرتهم، في عهد تغلث فلاسر الأول، امتثل الملك بانمو الأول ملك دمشق بدفع ضريبة الحماية بدلاً من مواجهة الدمار، و أدت الاضطرابات اللاحقة أثناء توحيد شلمنصر الثالث لبلاد الشام إلى فرض حكام آشوريين مؤقتين، و مع ذلك، احتفظت دمشق بحكمٍ ذاتيٍ نسبيٍ طالما انضم حاكمها إلى الحملات ضد أتباع مثيري الشغب، و تشهد الأدلة المادية على السلع الفاخرة و الأعمال الفنية الضخمة و أساليب الكتابة على المكانة الثقافية خلال هذه الحقبة.



خريطة الإمبراطورية الآشورية الجديدة في عهد تغلث فلاسر الثالث

في الوقت نفسه، نمت الأسرة المصرية الثانية و العشرون و الخامسة و العشرون بشكلٍ متزايد في جنوب سوريا، و تمركزت حامياتها في وادي العاصي، و توترت العلاقات مع الفرعون أوسركون الأول الذي غزا دمشق في مرحلةٍ ما، و في نهاية المطاف، استغلت المدينة موقعها وسط هذه الإمبراطوريات بشكلٍ مربح، حيث لعبت القوى المتنافسة ضد بعضها البعض للاحتفاظ بالحكم الذاتي، أكدت

المعاهـدات التجاريـة أن شـعبها اسـتفاد مـن الاتصـال بالحضارات الأكثر ثراءً على طول نهر العاصي.

و مع ظهور دمشق كمركزٍ حضري رئيسي في أوائل الألفية الأولى قبل الميلاد، ازدهرت الثقافة الآرامية، و كانت اللهجات الآرامية التي كانت تتحدثها في الأصل قبائل شبه بدوية من صحراء بلاد ما بين النهرين، تنتشر تدريجياً عبر الشرق الأدنى بدايةً من القرن العاشر قبل الميلاد باعتبارها لغةً مشتركةً للتجـارة و الإدارة، و في دمشـق، قـام رجـال الـدين و البيروقراطيون ثنائيو اللغة بتسهيل التفاعل مع الغرباء من خلال اللغة الآرامية المكتوبة، مما أدى إلى تقديمها كلغةٍ مشتركةٍ إلى جمهورٍ أوسع.

في ظل المملكة النبطية المتمركزة في البتراء، اكتسبت اللغة مكانةً مرموقةً باعتبارها الوسيلة المفضلة للكتب المقدسة

و الوثـائق القانونيـة و المراسـلات، و تشـهد الحـروف الآراميـة مـن القـرن الخـامس في مصـر علـى الاسـتخدام بعيـد المـدى للغــة في التجــارة في جميــع أنحــاء الشــرق الأدنى و الجزيــرة العربيــة، و في دمشــق أيضــاً، حلــت اللغــة الآراميــة محــل اللهجات السامية الشمالية الغربية السابقة مثل الكنعانية و العمورية بحلول الفترة الهلنستية.

حفز انتشار الآرامية التأثيرات الأدبية و الثقافية بين سـوريا و بـلاد مـا بـين النهـرين، و سـمحت المفردات المشـتركة بتبـادل الأفكــار في الفلســفة و الرياضــيات و علــم الفلــك، و أثــرت ترجمات النصوص الطبية و القصائد الملحمية في بلاد ما بين النهـرين تقاليـد دمشـق، و امتزجـت التقاليـد الدينيـة أيضـاً، حيث تمزج النصوص الآراميـة بين العناصر الكنعانيـة و بلاد ما بين النهرين، و احتفلت القبائل المستقرة و شبه البدوية بالأعياد المقدسة معاً في حرم معبد دمشق.

نقش قندهار الصخري ثنائي اللغة (اليونانية والآرامية) للملك الهندي أشوكا، القرن الثالث قبل الميلاد في قندهار، أفغانستان

بشكلٍ عام، كان لصعود اللغة الآرامية تأثيرٌ عميقٌ على دمشق، مما سهّل صعودها كمركزٍ عالميٍ حيث يمكن

للتجـار مـن أفريقيـا إلى آسـيا أن يتفـاعلوا مـن خـلال لسـانٍ مشترك، و قد أضاف هذا التبادل الثقافي إلى هيبـة المدينـة و جاذبيتها الدولية المزيد.

و مع ازدهار دمشق طوال النصف الأخيـر من الألفيـة الثانيـة قبـل المـيلاد و حتـى أوائـل الألفيـة الأولى قبـل المـيلاد، شـرع مـديروها و سـكانها الأثريـاء في مشـاريع بنـاءٍ طموحـةٍ شـكلت المشـهد الحضـري للمدينـة، و أنتجـت الـورش الملكيـة طوبـاً طينيـاً مصـنوعاً بدقـة لبنـاء المعابـد و القصـور و التحصـينات الفخمـة، و أسـوارٍ دفاعيـةٍ ضـخمةٍ محصـنةٍ ضـد الغـزاة، و بواباتٍ و أبراج حراسة مهيبة لتنظيم حركة المرور، و في داخل المدينة، سمحت الطرق الواسعة بحركة القوافل بكفاءةٍ عبر أحياء الأسواق في المدينة.

كانت الأعمال المدنية الكبرى شاهداً على ثراء المدينة، مثل القنوات و الخزانات التي تستغل مياه بردى، و أنظمة أنابيب الطين التي تنقل المياه العذبة إلى النوافير العامة و المنازل الخاصة، بينما تتدفق القنوات عبر البساتين و الحقول التي تدعم المناطق الزراعية النائية في المدينة، و استجابةً للثراء المتزايد، قام الأثرياء بتشييد قصورٍ فخمةٍ ذات أفنيةٍ واسعةٍ و أعمدةٍ و قاعات استقبال ذات لوحاتٍ جدارية، و اتخذت الأحياء شكلاً منظماً حسب العرق و المهنة و الوضع الاجتماعي.

و في الزقورات الشاهقة المخصصة للآلهة، توافد الحجاج لمشاهدة طقوسٍ متقنةٍ يشرف عليها الكهنة، و تشهد كنوز المعابد المتراكمة عبر آلاف السنين على إخلاص الحكام الذين أقاموا نصباً نذرية على الأرض المقدسة، و من خلال تقدمها في الهندسة الدفاعية، و التخطيط الحضري، و الهندسة المعمارية الدينية، أصبحت دمشق في أوائل الألفية

الأولى قبـل المـيلاد تعـرض جميـع سـمات مدينـةٍ كبيـرةٍ في الشرق الأدنى في ذروة قوتها.

التأثير الهلنستي

في عـام 332 قبـل المـيلاد، فتحـت أبـواب دمشـق للترحيـب بالإسكندر الأكبر و جيشه المقدوني، و تغير مصير دمشق إلى الأبد عندما أصبحت تحت سيطرة الحكم الهلنستي.

كـان فـتح دمشـق بمثابـة فصـلٍ جديـد في تاريخهـا الملـيء بالقصص، حيث أصبحت المدينة جوهرةً في تاج إمبراطورية الإسـكندر الشاسـعة, و تحـت ظـل القلعـة الشـاهقة، بـدأت التأثيرات الهلنستية تتخلل كل جانب من جوانب الحياة، من الفـن و الهندسـة المعماريـة إلى اللغـة و الحكـم، و اجتاحـت الثقافـة اليونانيـة شـوارع دمشـق كالعاصـفة، تاركـةً بصـمةً لا تمحى على سكانها.

في أعقـاب غـزو الإسـكندر، بـرزت دمشـق كعاصـمةٍ صـاخبة، تنـــبض بطاقـــة التجـــارة و التبـــادل التجـــاري، موقعهـــا الاسـتراتيجي علـى مفتـرق طـرق التجـارة القديمـة حولهـا إلى مركـزٍ مزدهـرٍ للنشـاط الاقتصـادي، حيـث كـان التجـار مـن الأراضي البعيدة يجتمعون لمقايضة بضائعهم وسط صخب السـوق، و كانـت الشـوارع تعـج بالحيـاة، حيث يسـاوم التجار على التوابل، و الحرير، و المعادن الثمينة.



رباعية الإسكندر الأكبر، دمشق

و مع ذلك، و في وسط صخب الحياة الحضرية، ظلت روح دمشق حازمة، و متجذرة في تقاليدها و عاداتها القديمة، و بينما مارست الثقافة اليونانية تأثيرها على النخبة في المدينة، تشبث عامة الناس بثبات بتراثهم الآرامي، و حافظوا على الهوية اللغوية و الثقافية التي ميزتهم لعدة قرون، و بقي إيقاع اللغة الآرامية شهادةً على الصمود الدائم لسكان دمشق الأصليين.

و على خلفية هذا النسيج الثقافي، ازدهرت دمشق كمركز للتعلم و التنوير في العالم الهلنستي، و أصبحت مكتبة دمشق الكبرى منارةً للمعرفة، تستقطب العلماء و الفلاسفة من كل مكان بحثاً عن الحكمة و التنوير، و في قاعاتها المقدسة، وجدت أعمال أرسطو و أفلاطون ملاذاً لها، حيث شكلت تعاليمها الخالدة عقول الأجيال القادمة.

و لكن، و في ظل التبادل الثقافي و المساعي الفكرية، كانت التوترات تغلي تحت السطح، حيث كانت شعوب دمشق المتنوعة تتصارع مع تعقيدات الحكم الهلنستي، و بينما تَبَنى البعض النظام الجديد بأذرعٍ مفتوحة، أعرب آخرون عن غضبهم من الهيمنة الأجنبية، مشتاقين إلى الحرية في تقرير مصيرهم، و في أزقة المدينة القديمة، اختلطت همسات المعارضة برائحة البخور، بينما تجرأ أهل دمشق على الحلم بمستقبلٍ خارج ظلال الإمبراطورية.

و في حين مارست الثقافة اليونانية تأثيرها على الطبقات العليا من المجتمع، ظل عامة الناس في دمشق مرتبطين بجذورهم الآرامية، و في الأسواق المزدحمة، شهد نسيج الحياة اليومية النابض بالحياة على اندماج الثقافات، حيث تشابكت التقاليد اليونانية و الآرامية في نسيجٍ غني من التنوع.

امتد تأثير الحكم الهلنستي إلى ما هو أبعد من مجالات اللغة و الثقافة، و تغلغل في كل جانب من جوانب الحياة الحضرية، و خضع مشهد مدينة دمشق لتحولٍ جذري، حيث قدم المهندسون المعماريون و المهندسون اليونانيون خبراتهم في بناء المعالم المدنية الكبرى و الأماكن العامة، كانت الصروح الشاهقة بمثابة شواهد على عظمة العمارة الهلنستية، و واجهاتها الرخامية تتلألأ تحت شمس البحر الأبيض المتوسط.

و مع ذلك، على الرغم من روعتها ، لم تكن الفترة الهلنستية خالية من التحديات، فقد أثار فرض الحكم الأجنبي توترات بين شعوب دمشق المتنوعة، حيث كانوا يتصارعون مع تعقيدات الاستيعاب الثقافي و الهوية، و بينما تبنى البعض

النظام الجديد بحماس، نظر إليه آخرون بعين الريبة، خوفاً من تآكل تقاليدهم الأصلية و أسلوب حياتهم.

و مع كل ذلك، و بفضل قوة الهندسة المقدونية و البراعة المعمارية، ازدهرت البنية التحتية الحضرية و الأماكن العامة، مما حول دمشق إلى منارةٍ للابتكار الحضري، و في قلب هذه النهضة الحضرية كان تطوير المعالم المدنية الكبرى و الأماكن العامة، بمثابة نقاطٍ محوريةٍ للحياة المجتمعية و التفاعل الاجتماعي، و مع ازدهار مدينة دمشق القديمة في ظل الحكم الهلنستي، برزت كلاعبٍ محوريٍ في الشبكة المعقدة من التجارة و الدبلوماسية و التبادل الثقافي التي امتدت على مساحةٍ شاسعةٍ من محيط البحر الأبيض المتوسط.

و لأن دمشـق تقع عـلى مفـترق طرق التجـارة القديمـة، كانت بمثابـة محـور التجـارة، حيـث تلتقـي البضـائع و السـلع مـن الأراضي البعيدة في سوقٍ مزدحم بالأفكار و الابتكار، من حرير الصين إلى بهارات الهند، توافد التجار من جميع أنحاء العالم المعـروف إلى دمشـق، و كانت قـوافلهم محملـة بـالكنوز التـي كانت تهمس بحكايات الأراضي البعيدة و العجائب الغريبة.

لكن أهمية دمشق امتدت إلى ما هو أبعد من مجرد التبادل الاقتصـادي، لقـد كانـت بمثابـة حلقـة وصـلٍ بـين المكائـد الدبلوماسـية و المنـاورات الجيوسياسـية، حيـث تنافسـت القـوى المتنافسـة عـلـى التفـوق، و اجتمـع السـفراء و المبعوثـون مـن الإمبراطوريات البعيـدة في المدينـة، و شـكلت مفاوضاتهم و معاهداتهم مصير الأمم و الممالك.

و مع ذلك، و في خضم مكائد الملوك و الغزاة، ظلت دمشق معقلاً للتبادل الثقافي و الفكري، و أصبحت مكتبة دمشق الكبرى ملاذاً للعلماء و الفلاسفة من جميع أنحاء العالم الهلنستي، حيث تدفقت الأفكار و المعرفة كأنهر الحكمة، لتغذي عقول كل من طلب التنوير، و في ظل القلعة الشاهقة، استمتع سكان المدينة بالنسيج الغني للتنوع الثقافي الذي ميز الحياة في دمشق الهلنستية، كان كل ركن من أركان المدينة ينبض بالحياة للإبداع و التعبير البشري.

و مع غروب شمس العصر الهلنستي، وقفت دمشق كشاهدٍ على القوة الدائمة للتبادل الثقافي و التفاهم المتبادل في عالم دائم التغير، و تردد في شوارعها صدى خطى التجار و الدبلوماسيين و العلماء و الفلاسفة، و برزت كمنارةٍ للتنوير وسط ظلال العصور القديمة.

السيادة الرومانية

في عام 64 قبل الميلاد، اتخذ مصير دمشق منعطفاً حاسماً، إذ أصبحت تحت ظل السيطرة الرومانية، و مع غزو المدينة من قبل بومبي العظيم، أصبحت دمشق محور القوة الرومانية في شرق البحر الأبيض المتوسط، و تشابك مصيرها مع ثروات الإمبراطورية، و في ظل الحكم الروماني، أعيد تصور مشهد المدينة ليعكس مُثُل الحكم و الإدارة الرومانية، و كان صدى أروقة السلطة يتردد مع الإيقاع الثابت للغة اللاتينية، حيث كان المسؤولون و البيروقراطيون الرومان يرأسون شؤون الدولة بيدٍ حازمة و لكن متوازنة، و أعيد تشكيل المشهد السياسي في دمشق على صورة روما، حيث يحكم المدينة كادرٌ من المسؤولين المعينين من قبل الرومان المعروفين باسم الديكوريون، و كان قادة البلديات هؤلاء يمارسون السلطة على كل جانب من جوانب الحياة الحضرية، من الضرائب و الأشغال العامة إلى إنفاذ القانون و

الإدارة المدنية. و من خلال قيادتهم، ازدهرت دمشق كمعقل للحضارة الرومانية في قلب بلاد الشام.



بومبيوس الكبير

لكـن بينمـا جلـب الحكـم الرومـاني الاسـتقرار و الازدهـار إلى دمشق، فقد أثار أيضاً توترات بين سكان المدينة المتنوعين. فغالبـاً مـا كـان فـرض القـانون الرومـاني و أنظمـة الضـرائب يتعارض مع عـادات و تقاليد السكان الأصليين، مما أدى إلى اندلاع الاضطرابات و التمرد بشكلٍ دوري.

و مع ذلك، و في خضم الاضطرابات السياسية، برزت دمشق كمركزٍ حيوي للقوة و النفوذ الروماني في المقاطعات الشرقية، فـالموقع الاسـتراتيجي للمدينـة عنـد حلقـة الوصـل بـين طـرق التجـارة التـي تـربط عـالم البحـر الأبـيض المتوسـط بثـروات الشـرق جعلهـا جـائزةً مرغوبـةً للجنـرالات و الإداريـين الرومـان الطموحين.

و تحـت أعـين الأبـاطرة الرومـان، ازدهـرت دمشـق كمركـزٍ للنشـاط الاقتصـادي، حيـث تعـج أسـواقها بالبضـائع و السـلع

من كل ركنٍ من أركان الإمبراطورية، و من الواجهات الرخامية اللامعة للمعالم المدنية الكبرى إلى الطرق الصاخبة في الحي التجاري، شهدت المدينة مسيرة الحضارة الرومانية التي لا هوادة فيها.

شهد العصر الروماني انتشار الأسواق و البازارات في كافة أنحاء دمشق، حيث كان التجار من كل ركن من أركان الإمبراطورية يقايضون بضائعهم في أسواقها، و كانت المدينة تنبض بإيقاع النشاط الاقتصادي، و شوارعها تنبض بالحياة بمشاهد و أصوات التجارة.

لكن لم تكن السلع الكمالية فقط هي التي تتدفق عبر شرايين دمشق، كانت المدينة أيضاً بمثابة مركز حيوي لتبادل السلع الأساسية مثل الحبوب و زيت الزيتون و النبيذ، و أنتجت الأراضي الخصبة في المناطق الريفية

المحيطة بها محاصيل وفيرةً أطعمت أفواه الإمبراطورية الجائعة، في حين أنتجت بساتين الزيتون و كروم العنب في المنطقة النبيذ و الزيوت ذات القيمة العالية في جميع أنحاء العالم المعروف، و تحت الرعاية الرومانية، ازدهرت دمشق كمركزٍ للحرف اليدوية و الصناعة، حيث كان الحرفيون يمارسون حرفهم في ورش العمل المنتشرة في جميع أنحاء المدينة، من الفسيفساء المعقدة للنخبة الغنية إلى الفخار القوي لعامة الناس، و وجدت منتجات دمشق استحساناً في الأسواق من روما إلى الإسكندرية، و مع تضخم خزائن الإمبراطورية بثروة فتوحاتها، برزت دمشق كجوهرةٍ في تاج الهيمنة الرومانية، و كان ازدهارها بمثابة شهادةٍ على القوة الدائمة للتجارة و التبادل التجاري في سجلات التاريخ.

تحت السيطرة الرومانية، برزت دمشق كبوتقةٍ ينصهر فيها التنوع الديني، حيث اختلطت التقاليد القديمة مع الإيمان المسيحي المزدهر لتشكيل المشهد الروحي للمدينة، و في

ظـل المعابـد الشـاهقة والبسـاتين المقدسـة في العصـور القديمة، كـان أتبـاع الآلهـة و الإلهـات المتنوعـة يتعبـدون جنبـاً إلى جنـب، و تعكـس طقوسـهم و احتفـالاتهم نسـيج الإيمـان الغنـي الـذي ميـز الحيـاة في العـالم القـديم، مـن الطقـوس المهيبـة لمعبـد جـوبيتر إلى احتفـالات عبـادة إيـزيس، تـرددت أصداء العبادة الإلهية في دمشق.



معبد جوبيتير في دمشق

و لكن، وسط مجموعة الآلهة و الإلهات التي سيطرت على قلوب و عقول سكان المدينة، بدأت عقيدة جديدة تتجذر و تزدهر، مع ولادة المسيحية التي انتشرت كالنار في الهشيم في شوارع دمشق، و لاقت رسالتها عن الحب و الفداء صدىً لدى المحرومين و المضطهدين.

شهدت الفترة الرومانية طفرةً في انتشار المسيحية في جميع أنحاء دمشق، حيث بشر المبشرون بالإنجيل لآذان متلهفة و متعطشةٍ للخلاص، من التجمعات المتواضعة للمؤمنين الأوائل في المنازل الخاصة إلى عظمة البازيليكا و الكاتدرائيات التي أقيمت تكريماً للمسيح القائم من بين الأموات، تجذر الإيمان الناشئ و ازدهر وسط تجارب و محن الحكم الروماني.

و مع ذلك، و على الرغم من كل ما يحمله انتشار المسيحية من وعود بالتحرر الروحي، فقد أثار أيضاً توترات و صراعات

داخل نسيج المعتقد الديني المتنوع الذي ميز الحياة في دمشق، و كان أتباع الآلهة و الإلهات القدماء ينظرون إلى الإيمان الجديد بعين الريبة، خوفاً من تأثيره التخريبي على النظام الاجتماعي و استقرار المدينة.

و لكن، و على الرغم من العقبات و التحديات التي واجهتها، استمرت المسيحية في الازدهار في دمشق، و تجاوزت رسالتها للأمل و الفداء حدود الثقافة و العقيدة، و في بوتقة التنوع الديني، اشتعلت روح دمشق، و أصبحت منارةً الإيمان وسط ظلال عدم اليقين و الشك.

و في ظل السيطرة الرومانية، شهدت دمشق نهضةً في البراعة المعمارية و الهندسية، حيث تغير منظر المدينة من خلال المشاريع الضخمة التي رعاها الأباطرة الطموحون الذين يتوقون إلى ترك بصماتهم على مشهد العالم القديم،

و في قلب هذه النهضة المعمارية يكمن بناء المعالم المدنية الكبرى و مشاريع الأشغال العامة التي أظهرت قوة و روعة الهندسة الرومانية، و من صروح المعابد و المسارح الشاهقة إلى القنوات و الجسور المهيبة التي امتدت على طول الممرات المائية في المدينة، شهدت دمشق انفجاراً في نشاط البناء أعاد تشكيل نسيجها الحضري.

كان بناء معبد جوبيتر، و هو مخصص للإله الرئيسي للبانثيون الروماني، أحد أكثر تراث الحكم الروماني ديمومةً في دمشق، يقع المعبد على أعلى تلةٍ في المدينة، و كان بمثابة شهادةٍ على قوة و هيبة الديانة الرومانية، حيث تلمع أعمدته الرخامية و تماثيله المذهبة تحت شمس البحر الأبيض المتوسط.

و لكن، لم تكن العمارة الدينية فقط هي التي ازدهرت في ظل الرعاية الرومانية، فقد خضعت البنية التحتية للمدينة لتحولٍ جذريٍ أيضاً، فقد أشرف المهندسون الرومان على بناء شبكةٍ واسعةٍ من الطرق و الجسور التي ربطت دمشق بأبعد حدود الإمبراطورية، مما سهل تدفق البضائع و الأشخاص في جميع أنحاء العالم المعروف.

و ربما كان المشروع الهندسي الأكثر طموحاً الذي تم تنفيذه خلال هذه الفترة هو بناء جسر تراجان، و هو أعجوبةٌ من الهندسة الرومانية التي كانت تمتد على نهر بردى العظيم، و يمتد الجسر بطول أكثر من 1000 قدم، و كان بمثابة شريان الحياة للمدينة، حيث يربطها بالأراضي الخصبة في الريف المحيط بها و يضمن تدفق الموارد الحيوية لسكانها.

و في وسـط الشـوارع المزدحمـة و المعـالم الأثريـة الكبـرى في دمشـق الرومانيـة، كانـت هنـاك ثـورةٌ أكثـر هـدوءاً و لكنهـا ليسـت أقـل عمقـاً، و هـي نهضـة الـتعلم و الفلسـفة التـي ستشكل عقول و قلوب الأجيال القادمة.

و لـم يكـن الفلاسـفة العظمـاء في العصـور القديمـة وحـدهم الذين تركوا بصماتهم على المشهد الفكري في دمشـق، فقد استضــافت المدينــة مجموعــةً متنوعــةً مــن المــدارس و الأكاديميات، حيث اجتمع الطلاب و العلماء لمناقشة أسرار الوجـود و التأمـل في طبيعـة الحقيقـة، مـن فلسـفة زينـون الرواقيـة إلى التعـاليم الغامضـة للأفلاطـونيين الجـد، و تحـت رعايـة الأبـاطرة الرومـان و النخـب المحليـة، أصـبحت دمشـق بوتقـة للابتكـار و الإبـداع، مـن تعقيـدات الرياضـيات و علـم الفلك إلى تعقيدات البلاغة و الشعر، كان لكل ركنٍ من أركان المدينة صدىً في الخطاب الفكري.

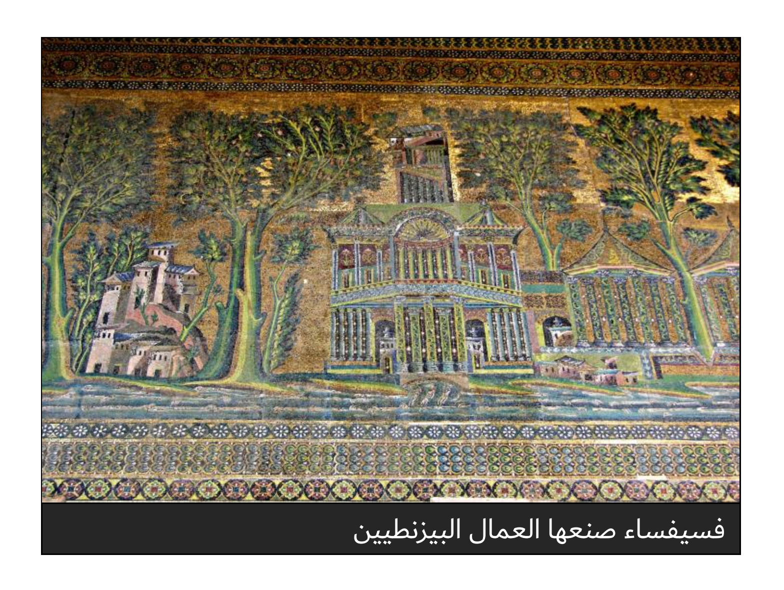
و لكن، ربما كان الإرث الأعظم لدمشق كمركزٍ للتعليم يكمن في دورها كجسر بين الشرق و الغرب، حيث تقاطعت حكمة العالم القديم مع التقاليد الفكرية المزدهرة في الشرق الأدنى، و من خلال تبادل الأفكار و وجهات النظر، برزت دمشق باعتبارها بوتقة للتوليف الثقافي، حيث تلاشت حدود التقاليد و الابتكار، مما أدى إلى ظهور طرقٍ جديدة للتفكير و الوجود.

العصر البيزنطي

في عام 300 ميلادية، هبت رياح التغيير على مدينة دمشق القديمة مجدداً مع انتقالها من الحكم الروماني إلى الحكم البيزنطي، مما يمثل بداية فصلٍ جديدٍ في تاريخها المليء بالقصص، و في ظل السيطرة البيزنطية، برزت دمشق كموقعٍ حيوي في المقاطعات الشرقية للإمبراطورية، و تشابك مصيرها مع ثروات القسطنطينية، العاصمة اللامعة للإمبراطورية البيزنطية، و جلبت هذه الفترة الانتقالية معها موجةً من التغييرات السياسية و الإدارية التي أعادت تشكيل المشهد العام للمدينة، حيث استقر الحكام و المسؤولون البيزنطيون في أروقة السلطة.

لكن في حين كانت زخارف الحكم البيزنطي واضحة في قاعات الحكومة و مراسيم البيروقراطية الإمبراطورية، ظلت روح دمشق حازمةً و متجذرةً في تقاليدها و عاداتها القديمة، و

واصلت المدينـة ازدهارها كمركزٍ للتجارة و التبـادل التجـاري و النشاط الاقتصادي.



فسيفساء صنعها العمال البيزنطيين

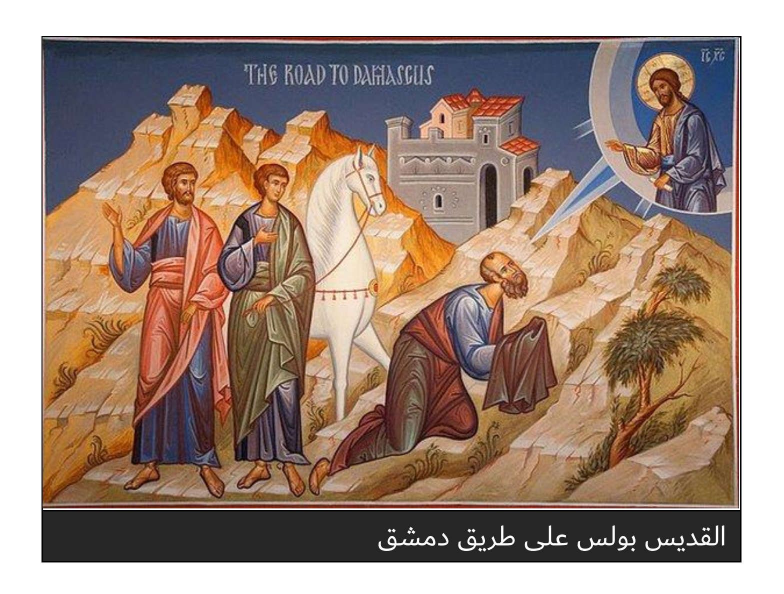
كـان تحـول المدينـة إلى المسـيحية أحـد أكثـر تـراث الحكـم البيزنطي ديمومةً في دمشـق، إذ سعى أتباع الديانة الجديدة إلى تأكيد هيمنتهم على المشهد الروحي للمنطقة، و ظهرت

الكنـائس و الأديـرة في جميـع أنحـاء المدينـة، و شـهدت قبابهـا المرتفعـة و فسيفسـاءها المعقـدة علـى إخـلاص المـؤمنين الشـديد، و لكـن في خضـم صعود المسـيحية، ظلـت دمشـق بوتقـة ينصـهر فيهـا التنـوع الـديني، حيـث يتعـايش أتبـاع الـديانات المتنوعـة جنبـاً إلى جنـب في وئـام، و اسـتمرت المجتمعات اليهودية و الوثنية في المدينة في ممارسة عبادتها في معابـدها الخاصـة، و تعكـس طقوسـها و تقاليـدها نسـيج الإيمان الغني الذي ميز الحياة في دمشق البيزنطية.

كانت الكنائس و الأديرة تزين منظر المدينة، و تشهد أبراجها الشـاهقة و واجهاتهـا المزخرفـة علـى التقـوى الشـديدة للمـؤمنين، فمـن القبـاب المهيبـة لكاتدرائيـة القـديس يوحنـا المعمدان إلى الكنائس المتواضعة المنعزلة في أزقة المدينة، كان الحضور المسيحي في دمشق ملموساً و عميقاً.

لكن مسيحية دمشق لم تكن مجرد مسألة ممارسة دينية، لقد كانت أيضاً عملية استيعاب ثقافي و تحول اجتماعي، و تغلغلت تعاليم يسوع المسيح في كل جانب من جوانب الحياة اليومية، و أثرت على القيم الأخلاقية و المعنوية لسكان المدينة و شكلت تفاعلاتهم مع بعضهم البعض، و ازدهرت المجتمعات الرهبانية في ظل دمشق، و كرّس أعضاؤها أنفسهم لحياة الصلاة و التأمل و خدمة الآخرين، و من المناسخ الصاخبة حيث كان الكتبة ينسخون النصوص المقدسة إلى الحدائق الهادئة حيث كان الرهبان يعتنون بمحاصيلهم، كانت أديرة دمشق بمثابة مناراتٍ للتنوير الروحي و مراكز للتعلم.

سهّل موقع المدينة الاستراتيجي على مفترق طرق التجارة تبادل الأفكار و الخطاب اللاهوتي، و جذب العلماء و اللاهوتيين من جميع أنحاء الإمبراطورية البيزنطية و خارجها.



القديس بولس على طريق دمشق

كان القديس بولس الرسول أحد أكثر الشخصيات تأثيراً التي ظهرت من دمشق، و الذي حوله تحوله الدرامي على الطريق إلى دمشق من مضطهد للمسيحيين إلى أحد أبرز المبشرين في الكنيسة الأولى، و أصبحت رسائله، التي كتبها من زنزانته في قلب المدينة، نصوصاً أساسية في اللاهوت المسيحي، و شكلت معتقدات و ممارسات المؤمنين لأجيال قادمة، و لكن القديس بولس لم يكن النجم الوحيد الذي يزين شوارع

دمشـق بحضـوره، فقـد استضـافت المدينـة أيضـاً اللاهـوتيين المسـيحيين الأوائـل و القـادة الكنسـيين، الـذين اجتمعـوا في المجالس و المجامع لمناقشـة مسـائل العقيـدة و الانضبـاط، مـــن المناقشـــات اللاهوتيـــة في مجمـــع خلقيدونيـــة إلى الإصلاحات الكنسية في مجمع القسطنطينية، كانت دمشـق بمثابة بوتقة للابتكار اللاهوتي و الحكم الكنسي.

و مـع ذلـك، و في خضـم المناقشـات العنيفـة و الخلافـات اللاهوتيـة، ظلـت دمشـق منـارةً للتنـوير الروحـي والتفـاني الـديني، و انتشـرت الكنـائس و الأديـرة في منـاظر المدينـة، و زينت جدرانها بلوحات جدارية حيةٍ و فسيفساء معقدةٍ تصور مشاهد من حياة المسيح و القديسين، و توافد الحجاج من كل مكانٍ إلى المدينة لتكريم هذه الأماكن المقدسة، باحثين عن العزاء و الخلاص في ظل قاعاتهم المقدسة.

و مع سيطرة الحكم البيزنطي على دمشق، شهدت المدينة فترةً من التحضر و التوسع السريع، حيث تضخم عدد سكانها و توسعت حدودها لاستيعاب الطلبات المتزايدة لسكانها، فظهرت أحياءٌ و مناطق جديدةٌ لاستيعاب تدفق المهاجرين من المناطق الريفية المحيطة، و كانت إحدى أبرز سمات هذا التوسع الحضري هي انتشار مشاريع الأشغال العامة التي أعادت تشكيل صورة دمشق.

و لكن، لم تكن مشاريع البنية التحتية وحدها هي التي غذت نمو دمشق، فقد أصبحت المدينة أيضاً نقطة جذبٍ للحرفيين و التجار من جميع أنحاء الإمبراطورية البيزنطية، و ازدهرت الأسواق و البازارات، و فاضت أكشاكها بالبضائع و السلع من كل ركنٍ من أركان العالم، و من أسواق المدينة القديمة التي تفوح منها رائحة التوابل إلى المتاجر الفخمة في الحي التجاري، كانت شوارع دمشق تضج بالحياة.

ومع توسع المدينة، توسعت أيضاً مؤسساتها الاجتماعية و الثقافية، و تكاثرت الكنائس و الأديرة ، و هيمنت أبراجها الشاهقة و واجهاتها المزخرفة على الأفق، و ازدهرت المدارس و الأكاديميات، و امتلأت قاعاتها بالعقول التواقة للطلاب المتعطشين للمعرفة و التنوير.

ولكن وسط وتيرة التحضر و النمو السريعة، ظلت دمشق وفيةً لجذورها القديمة، و حافظت شوارعها و أزقتها على السحر و الطابع الخالد الذي ميزها على مدى قرون، و من الأسواق الصاخبة إلى الحدائق الهادئة، كان صدى المدينة يتردد مع همهمة المساعي الإنسانية المتناغمة، و هي شهادةٌ على روح المرونة و التجديد الدائمة التي حافظت عليها عبر العصور.

الحياة الاجتماعية و الثقافية

تميــزت دمشــق في العصــرين القــديم و البيزنطــي ببنيــةٍ اجتماعيـةٍ و هرميـةٍ معقـدةٍ شـكلت حيـاة سـكانها، و في قمـة المجتمع وقفت النخبة الحاكمة، المكونة من الأرستقراطيين و مـلاك الأراضــي و المســؤولين الـذين مارسـوا السـلطة و النفـوذ علـى شـؤون المدينـة، و غالبـاً مـا ترجـع هـذه النخـب نسـبها إلى العـائلات النبيلـة القديمـة، التـي منحتهـا ثروتهـا و مكانتهـا امتيـازاتٍ و مكانـةٍ في المجتمـع، و تحـت هـذه النخبـة الحاكمـة كانت توجد طبقةٌ وسطى من التجار و الحرفيين و المهنيين الذين لعبوا أدواراً أساسية في الحياة الاقتصادية و الثقافية في دمشق، و غالباً ما جمع هؤلاء الأفراد ثروةً كبيرةً مــن خــلال التجــارة و التبــادل التجــاري، ممــا ســمح لهــم بالاسـتمتاع بأسـلوب حيـاةٍ مـريحٍ و مكانـةٍ اجتماعيـة، علـى الـرغم مـن أنهـا لـم تكـن قويـةً مثـل النخبـة الحاكمـة، إلا أن الطبقة الوسطى كانت تتمتع بنفوذٍ كبيرٍ في الشؤون المحلية و ساهمت بشكلٍ كبيرٍ في ازدهار المدينة.

و في قاعدة التسلسل الهرمي الاجتماعي كان عامة الناس، بما في ذلك العمال و المزارعون و الخدم، الذين يكدحون من أجل إعالة أنفسهم و أسرهم، و غالباً ما عاش هؤلاء الأفراد في مساكن متواضعة على مشارف المدينة، حيث كانوا يعملون في الحقول أو ورش العمل لكسب لقمة العيش، و على الرغم من مكانتهم المتدنية، شكل عامة الناس العمود الفقري لاقتصاد دمشق، حيث وفروا العمالة و المهارات اللازمة لبقائها و نموها.

تأثر الهيكل الاجتماعي لدمشق القديمة و البيزنطية بعوامل مثل الجنس و العرق و الدين، فعادةً ما يشغل الرجال مناصب السلطة و المكانة البارزة في المجتمع، بينما تشغل النساء أدواراً أكثر ثانويةً داخل الأسرة و المجتمع، و تعايشت الأقليات العرقية، مثل اليونانيين و اليهود و العرب،

جنباً إلى جنب مع السكان الساميين المهيمنين، مما ساهم في التنوع الثقافي للمدينة و ثرائها.

كما لعب الدين دوراً مهماً في تشكيل الديناميكيات الاجتماعية في دمشق، في الفترة القديمة، كانت المدينة موطناً لمجموعة من الآلهة و الإلهات التي تعبدها المجتمعات الدينية المتنوعة، و مع ظهور المسيحية في العصر البيزنطي، أصبحت المدينة مسيحيةً بشكل متزايد، حيث تنتشر الكنائس و الأديرة و تؤثر على الأعراف و القيم الاجتماعية.

و طوال تاريخها، كانت دمشق بمثابة مفترق طرق للثقافات، حيث تلتقي و تتفاعل و تتبادل الأفكار بين المجموعات العرقية و الدينية المتنوعة، منذ أقدم المستوطنات و حتى العصر البيزنطي، سهّل الموقع الاستراتيجي للمدينة عند

تقاطع طرق التجارة تبادل السلع و الأشخاص و التأثيرات الثقافية، مما شكل هويتها الفريدة باعتبارها بوتقةً تنصهر فيها الحضارات، و كان أحد أهم مصادر التبادل الثقافي في دمشق هو سوقها النابض بالحياة، حيث كان التجار من جميع أنحاء العالم القديم يجتمعون لشراء و بيع و تجارة بضائعهم، و هنا، اختلطت البضائع القادمة من أماكن بعيدةٍ مثل مصر و بلاد ما بين النهرين و اليونان مع المنتجات المحلية، مما أدى إلى خلق مركزٍ صاخب للنشاط الاقتصادي و التنوع الثقافي.

لكن التبادل الثقافي في دمشق لم يقتصر على السوق، فلقد تغلغل في كل جانب من جوانب الحياة اليومية، من اللغة و المطبخ إلى الدين و الفن، و اجتذب جو المدينة العالمي العلماء و الفنانين و المثقفين من خلفياتٍ متنوعة، مما ساهم في حيويتها الفكرية و الثقافية.

ما يعكس طابع المدينة المتعدد الثقافات هو وجود لغاتٍ متعددةٍ منطوقةٍ و مكتوبةٍ على امتداد تاريخها، بالإضافة إلى اللغات السامية الأصلية، مثل الآرامية و لاحقاً العربية و اليونانية و اللاتينية و لغاتٍ أخرى، تم استخدامها أيضاً للأغراض الإدارية و التجارية و الأدبية.

كان التنوع الديني سمةً مميزةً أخرى للمشهد الثقافي في دمشق، حيث يتعايش أتباع الديانات المختلفة و يتفاعلون في وئام، بالإضافة إلى الطوائف و الآلهة الأصلية التي كانت تُعبد في العصور القديمة، كانت المدينة موطناً لمجتمعاتٍ يهوديةٍ و مسيحيةٍ كبيرة، تركت ممارساتها و طقوسها الدينية علامةً لا تمحى على هويتها الثقافية.

و لكـن، ربمـا كـان الشـكل الأكثـر عمقـاً للتبـادل الثقـافي في دمشـق هـو مـزج و توليـف العناصـر الثقافيـة المختلفـة لخلـق شيءٍ جديدٍ و فريد تماماً، من العجائب المعمارية لمعابدها و قصـورها إلى المفروشـات الغنيـة و الفسيفسـاء التـي تـزين مبانيها العامة، شهدت دمشـق مزيجاً مـن الأسـاليب الفنيـة و التقاليـد التـي تعكـس تنـوع سـكانها و إبـداعهم، بشـكلٍ عـام، كـان التبـادل الثقـافي و التفاعـل بـين المجموعـات العرقيـة و الدينيـة المختلفـة أمـراً أساسـياً لتطـوير دمشـق كمركـزٍ عـالميٍ للحضارة، و من خلال تبادل الأفكار و العادات و المعتقدات، شكلت المدينة هويةً ثقافيةً كانت متنوعةً و ديناميكيـة مثـل سكانها.

كانت الحياة اليومية في دمشـق تـدور حـول إيقاعـات الأسـرة و العمـل و الترفيـه، إذ كـان السـكان يمارسـون حيـاتهم اليوميـة وسـط شـوارع المدينـة و أسـواقها المزدحمـة، فيمـا لعبـت الأسـرة دوراً مركزيـاً في حيـاة سـكان دمشـق، حيـث كانـت

بمثابة حجر الزاوية في البنية و التماسك الاجتماعي، غالباً ما تعيش الأسر معاً في أسر متعددة الأجيال، حيث ينقل كبار السن التقاليد و القيم إلى الأجيال الشابة، كان الزواج و تربية الأطفال من المعالم المهمة في حياة الأفراد، و يتم الاحتفال بهما من خلال احتفالات متقنة تجمع الأسر و المجتمعات معاً.

كان العمل جانباً أساسياً آخر من الحياة اليومية في دمشق، حيث كان معظم السكان يعملون في الزراعة أو التجارة أو الحرف اليدوية لإعالة أنفسهم و أسرهم، كان المزارعون يكدحون في الحقول الخصبة المحيطة بالمدينة، و يزرعون المحاصيل مثل القمح و الشعير و الزيتون التي شكلت أساس الاقتصاد المحلي، فيما مارس الحرفيون مهنهم في ورش العمل المنتشرة في جميع أنحاء المدينة، حيث أنتجوا سلعاً تتنوع بين الفخار و المنسوجات إلى الأعمال المعدنية و المجوهرات.

استمتع سكان المدينة بأوقاتهم خارج مواقيت العمل بمجموعةٍ متنوعةٍ من الأنشطة الترفيهية و التسلية للاسترخاء و الراحة بعد يوم عملٍ طويل، كانت الحمامات العامة في المدينة بمثابة أماكن للتجمع الاجتماعي حيث يمكن للأفراد تطهير أنفسهم و التواصل مع الأصدقاء و الجيران، استضافت المسارح و المدرجات عروض الموسيقى و الرقص و الدراما، مما وفر الترفيه للجمهور من جميع الأعمار.

و كانت المهرجانات و الاحتفالات الدينية أيضاً جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية في دمشق، حيث أتاحت فرصاً للعبادة و الاحتفال و الترابط المجتمعي، بدءاً من المواكب الكبرى للآلهة و الإلهات الوثنية و حتى الطقوس الاحتفالية لليتورجيا المسيحية، جمعت الاحتفالات الدينية السكان معاً في

تقـديس و إخـلاص مشـتركين، و بشـكل عـام، كانـت الحيـاة اليومية في دمشق عبارة عن نسيج غني من الأسرة و العمل و الترفيه، منسوجاً معاً بخيوط التقاليد و المجتمع و الإيمان، و في صخب الحياة الحضرية، وجد السكان المعنى في روابط الأسرة و العمل و متع الثقافة و التراث المشتركين.



آثار معبد جوبيتير

لعب الدين دوراً مركزياً في حياة الدمشقيين القدماء و البيزنطيين، حيث ساهم في تشكيل معتقداتهم و ممارساتهم و طقوسهم بطرقٍ عميقةٍ و ذات معنى، من عبادة الآلهة القديمة إلى ظهور المسيحية، تميز المشهد الروحي في دمشق بنسيج غني من التقاليد الدينية التي عكست تنوع سكانها و تعقيدهم.

في فترة ما قبل الإسلام، كانت دمشق موطناً لمجموعة من الآلهة و الإلهات التي تعبدها الطوائف الدينية المتنوعة، كان السكان الساميون القدماء يعبدون عدداً كبيراً من الآلهة، بما في ذلك بعل، إله العواصف و الخصوبة، و عشيرة ، إلهة الحب و الخصوبة، كانت المعابد و الأضرحة المخصصة لهذه الآلهة و غيرها منتشرةً في كل المدينة، و كانت بمثابة نقاط محورية للطقوس و الاحتفالات الدينية.

لكن مع ظهور المسيحية في العصر البيزنطي، شهد المشهد الديني في دمشق تحولاً عميقاً، حيث انتشرت تعاليم يسوع المسيح بسرعة في جميع أنحاء المدينة، و اجتذبت المتحولين و الأتباع من جميع مناحي الحياة، و نشأت الكنائس و الأديرة، و وصلت أبراجها إلى السماء كرمز للإيمان و الإخلاص.

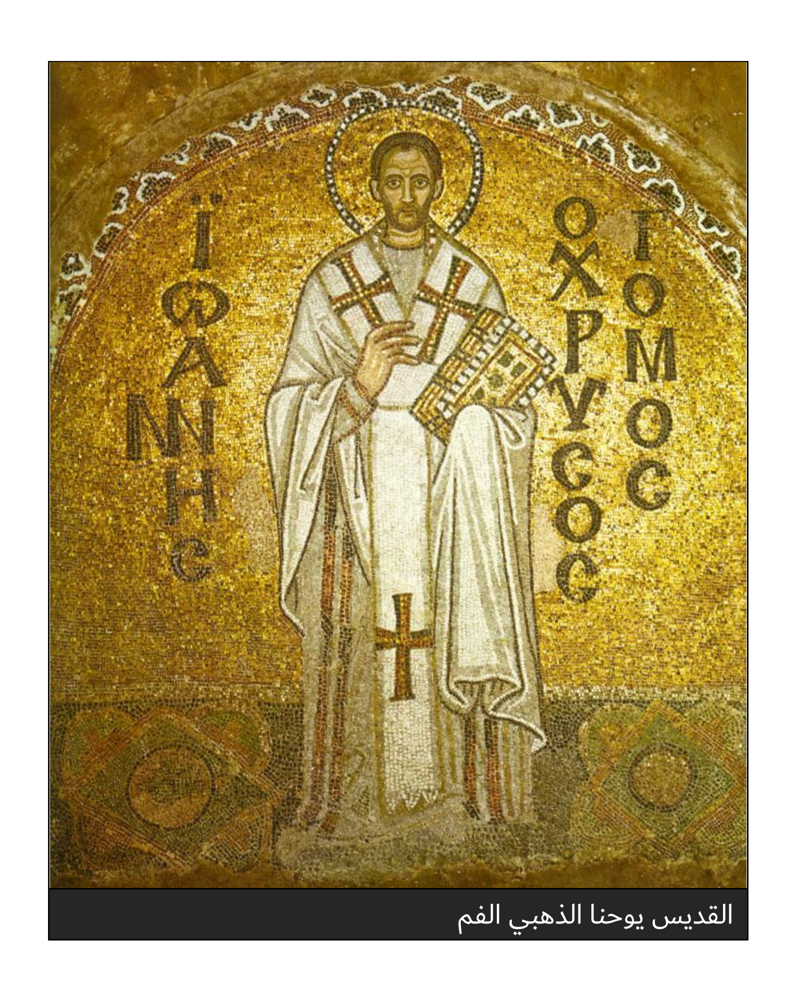
جلبت المسيحية معها مجموعةً جديدةً من المعتقدات و الممارسات و الطقوس التي شكلت الحياة الروحية لسكان دمشق و أصبحت المعمودية و القربان المقدس و تبجيل القديسين مبادئ أساسية للعبادة المسيحية، مما يوفر للمؤمنين شعوراً بالانتماء للمجتمع و النعمة الإلهية.

و مع ذلك، وعلى الرغم من صعود المسيحية، استمرت عناصر الماضي الوثني في المدينة، مما أثر على المعتقدات

و الممارسـات الدينيـة بطـرقٍ خفيـةٍ و غيـر متوقعـة، و اسـتمر لاحتفال بالطقوس و المهرجانات القديمة جنباً إلى جنبٍ مع الأعيـاد المسـيحية، و تـم مزجهـا معـاً لتكـوين مـزيج تـوفيقي فريدٍ من التعبير الديني.

الهوية الثقافيـة لدمشـق تشـكلت مـن خـلال نسيجٍ غنـي مـن الأدب و الفــن و الموســيقى يعكــس التــأثيرات و التقاليــد المتنوعة لسكانها، من الشعر الملحمي للشعراء القدامى إلى الفسيفساء المعقدة للفنانين البيزنطيين، كان التراث الفني للمدينة متنوعاً.

في الفترة القديمة، لعب الأدب دوراً مركزياً في تشكيل الهوية الثقافيــة لدمشــق، إذ زود الســكان بوســيلةٍ للتعبيــر عــن أفكـارهم و مشـاعرهم و تطلعـاتهم، و في العصـر البيزنطـي، أصبحت دمشق مركزاً للتميز الأدبي و الإبداع، فأنتج علماء



القديس يوحنا الذهبي الفم

المدينـة و كتبتهـا ثـروةً مـن الأعمـال الأدبيـة، بمـا في ذلـك السـجلات و التـواريخ و الأطروحـات اللاهوتيـة، التـي أضـاءت

الحياة الفكرية و الثقافية في ذلك العصر، و قدمت أعمال اللاهوتيين المسيحيين الأوائل مثل القديس يوحنا الذهبي الفم و القديس أفرام السرياني الإرشاد الروحي و الإلهام للمؤمنين، مما شكل المشهد اللاهوتي للإمبراطورية البيزنطية.

ازدهر التعبير الفني في دمشق البيزنطية، حيث قام الفنانون و الحرفيون بتزيين المباني العامة و المؤسسات الدينية في المدينة بلوحاتٍ جداريةٍ و فسيفساء و منحوتاتٍ متقنة، و أصبحت جدران الكنائس و الأديرة لوحاتٍ فنيةٍ للصور الدينية، تصور مشاهد من حياة المسيح و القديسين و الشهداء بتفاصيل حيةٍ و ملونة.

كما لعبت الموسيقى دوراً هاماً في تشكيل هوية دمشق الثقافية، إذ زودت السكان بوسيلة للتعبير عن مشاعرهم و

معتقـداتهم مـن خـلال الأغنيـة و الألحـان، تـرددت الأناشـيد و التراتيـل في شـوارع المدينـة و سـاحاتها، و ملأت الهـواء بأنغـام القداس و العبادة البيزنطية.

كلمة ختام

طوال تاريخها الممتد لآلاف السنين، وقفت دمشق كشاهدٍ على مرونة الحضارة الإنسانية و إبداعها و تنوعها، و منذ بداياتها المتواضعة كمستوطنة من العصر الحجري الحديث إلى ظهورها كمدينةٍ عالميةٍ في العصور القديمة و البيزنطية، شهدت المدينة صعود و سقوط الإمبراطوريات، و مد و جزر التجارة و التبادل التجاري، و تفاعل الثقافات و الأفكار التي أدت إلى ظهورها و شكلت هويتها الفريدة.

بينما نفكر في الموضوعات و التطورات الرئيسية في تاريخ دمشق، تظهر العديد من الموضوعات الشاملة التي حددت مسار المدينة على مرّ القرون، أولاً و قبل كل شيء موضوع الاستمرارية و التغيير، فعلى الرغم من مرور الزمن و الاضطرابات التي لا تعد و لا تحصى التي اجتاحت المنطقة، ظلت دمشق حاضرةً باستمرار على مسرح التاريخ، تتكيف

و تتطـور اسـتجابةً للتحـديات و الفـرص في كـل عصـر، فمـن دورها كمركز للتجارة و التبادل التجاري في العصور القديمة إلى ظهورهــا كمركــزٍ للتبــادل الفكــري و الثقــافي في العصـــر البيزنطـي، أظهـرت المدينـة قـدرةً غيـر عاديـةٍ علـى المرونـة و التجديد.

و يـرتبط بهـذا الموضـوع مفهـوم التنـوع و التعـايش، فطـوال تاريخهـا، كانـت دمشـق موطنـاً لنسـيجٍ غنـيٍ مـن الأعـراق و الأديان و الثقافات، التي شكلت تفاعلاتها شخصية المدينـة و هويتها الفريدة، من القبائل السامية القديمة التي استوطنت المنطقـة لأول مـرة إلى المسـيحيين البيـزنطيين و اليهـود و المسلمين الذين تبعوهم، كانت دمشـق بمثابة بوتقةٍ تنصهر فيها الحضارات، حيث اختلطت الأفكار و التقاليد و اندمجت لخلق شيءٍ جديدٍ تماماً و حيوي.

هنـاك موضـوعٌ رئيسـيٌ آخـر يظهـر و هـو دور المدينـة كمركـزٍ ثقـافي و تـاريخيٍ و روحـي، فمـن معابدها و قصـورها القديمـة إلى كنائسـها و أديرتها البيزنطية، كانت دمشـق نقطةً محوريةً للتفـاني الـديني و التعبيـر الفنـي لآلاف السـنين، و تـرددت في شـوارعها أصـوات الشـعراء و الفلاسـفة و العلمـاء و الحكمـاء، الـذين تركـت حكمـتهم و إبـداعهم بصـمةً لا تمحـى علـى المشهد الثقافي للمدينة.

و لكن، ربمـا يكـون الموضـوع الأكثـر ديمومةً علـى الإطـلاق هـو الجاذبيـة الخالـدة لدمشـق نفسـها، مـن أزقتهـا و أسـواقها المزدحمـة إلى حـدائقها الهادئـة و معالمهـا المهيبـة، تفـيض المدينـة بإحسـاس الخلـود و الغمـوض الـذي يأسـر الخيـال و يثيـر الروح، إنه مكـانٌ يلتقـي فيـه الماضـي و الحاضـر، و تتـردد فيه أصداء التاريخ في كل زاوية.

و بينما نتطلع إلى المستقبل، من الضروري أن ندرك أهمية الحفاظ على تراث دمشق الغني و الاحتفال به للأجيال القادمة، و لا يمكن المبالغة في تقدير الأهمية الثقافية و التاريخية للمدينة، و من واجبنا أن نحافظ على تراثها للأجيال القادمة، و سواءً كان ذلك من خلال ترميم الآثار القديمة، أو تعزيز التبادل الثقافي و الحوار، أو حماية التراث الطبيعي و المعماري، فيجب علينا أن نسعى جاهدين لضمان أن تظل دمشق منارة النور و الإلهام للأجيال القادمة.

تقف دمشق شاهداً على القوة الدائمة للإبداع البشري و القدرة على الصمود و التنوع، إنها المدينة التي نجت من عواصف التاريخ و خرجت أقوى و أكثر حيويةً من أي وقت مضى، دعونا نحمل معنا دروس ماضيها، و جمال حاضرها، و الأمل في مستقبلها، ففي جاذبية دمشق الخالدة، نجد انعكاساً لإنسانيتنا المشتركة و تذكيراً بالروح الدائمة للمسعى الإنساني.

تنصل من المسؤولية

الآراء الـواردة في هـذا الكتـاب هـي آراء المؤلـف و لا تعكـس بالضرورة السياسة أو الموقف الرسمي لأي وكالة أو منظمة أو صاحب عمل أو شركة.

يتم تـوفير أي مـواد أو وسـائط أو مواقـع ويـب مشـار إليها هنـا لأغـراض إعلاميـة فقـط. لا يضـمن المؤلـف دقتها ولا يتحمـل أي مسؤولية عن أي معلومات أو تمثيل وارد فيها.

علـى الـرغم مـن إجـراء أبحـاث مكثفـة مـن مصـادر أكاديميـة و تقنية موثوقة، إلا أن هذا العمل قد يحتـوي علـى أخطاء أو سـهو غير مقصود، مع اسـتمرار التطورات التكنولوجيـة و الاجتماعيـة، قد تصبح بعض التفاصيل أو الإحصائيات قديمة.

لا يتم التعبير عن أي توصيات أو موافقات أو علاقات تجارية بين المؤلف و أي طرف ثالث بشكل صريح أو ضمني، هذا الكتاب مخصص للأغراض التعليمية و البحثية فقط و ليس المقصود منه تقديم مشورة قانونية أو مهنية أو غيرها.

يعترف المؤلف بالقيود في المعالجة الكاملة للمشاكل الاجتماعية التقنية المعقدة و يرحب بالمناقشة المحترمة لتعزيز التفاهم الجماعي.

عن المؤلف

ماهر أسعد بكر

مؤلف، صحفي، و موسيقي سوري. ولد في دمشق، سوريا عام 1977 .

عن هذا الكتاب

منذ فجر الحضارة، تجمعت البشرية في المدن، لكن مدينةً واحدةً وقفت متحديةً مسيرة الزمن نفسه، لقد ظلت دمشق لآلاف السنين، شعلةً تنتقل من أيدي الغزاة و الأباطرة إلى العصر الحديث.

لماذا لا تزال هذه العاصمة القديمة مشتعلةً بهذه السطوع بينما تقبع مدنٌ قديمةٌ أخرى مدفونةً تحت طبقات الزمن؟ ما الذي حافظ على شعلتها خلال صعود و سقوط الإمبراطوريات؟ الجواب يكمن في مكاناتها الجغرافية و في الروح الإنسانية التي لا تقهر.

تعكس هذه القصة النضالات التي صاغها أسلافنا من أجل البناء و الإيمان و الصمود، إنها رحلةٌ عبر تاريخ البشرية،

للكشف عن الحقائق الأبدية المنسوجة في روح أقدم العواصم الباقية على وجه الأرض.

يحاول هذا الكتاب استكشاف تاريخ دمشق، لكنه ليس القصة الكاملة، فالقصة لم تنته بعد.